للتجارب السابقة الفاشلة التي كانت، في نتيجتها، فرصاً متكررة لاسرائيل لتفرض، خلالها، الامر الواقع، وتثبّت مزيداً من العدوان، ومزيداً من التوسّع. سادساً، لقد جاء القرار، في مجموعه، محققاً لموقف اسرائيل ومطالبها، ومخيباً لآمال الامة العربية، ومتجاهلاً رغباتها القومية. وأشار البيان الى ان هذا القرار هو نكسة سياسية، على الصعيد الدولي، تأتي في أعقاب النكسة العسكرية التي نزلت بالوطن العربي. وفي منطق المنظمة، ان مجلس الامن الدولي تجاهل وجود الشعب الفلسطيني، وحقه في تقرير مصيره. ومن هنا، أعلنت رفضها، جملة وتفصيلاً، له[٧٤]. كذلك رفضت المنظمة عبارة «ازالة آثار العدوان» التي لا تتمّ، برأيها، في الامم المتحدة، ولا بالوسائل الدولية، وانما بالوسائل العربية، وبالمبادرة الى قيام دولة الوحدة[٧٥].

على هذا الاساس، تصدّت صحيفة «برافدا»، في ٢٧ تشرين الثاني (نوفمبر)، الى هذه الحملة، وهاجمت «المتهوّرين العرب» لردّة فعلهم تجاه قرار مجلس الامن الدولي الرقم ٢٤٢. وكرر المعلّق قسطنطين فشنفتسكي النظرة السوفياتية الى القرار، قائلاً انه «رغم كل غموضه، والطابع غير الواضح لبعض تعابيره، يمكن ان يشكّل الخطوة الاولى الفعّالة على طريق ازالة التوتّر في الشرق الاوسط». وبعد مهاجمته الحكومة الاسرائيلية، كتب المعلّق انه من المستحيل عدم ملاحظة وجود «بعض المتهورين» في العواصم العربية. وأشار الى بعض «التعليقات الصحافية المتهورة» التي يمكن، في ظل الظروف الراهنة، ان تعطي مبرّراً لدعاية غربية معادية للعرب، ولاستغلال «المتطرفين» في تل ـ أبيب[٧٦].

باستطاعتنا ان نتبيّن مؤشرات الوصول الى نقطة التناقض في الدعوتين، السوفياتية والفلسطينية، وهي مؤشرات كثيرة. فقد توالت التصريحات والتعليقات السوفياتية المعلنة، مطالبة بتأجيل انشغال العرب بمنظمة التحرير الفلسطينية؛ وتوالت، كذلك، الكتابات السوفياتية، الى ان «الدعوة الفلسطينية الى تدمير اسرائيل سوف تسيء الى المصالح العربية في المنطقة وتعطّل كل الجهود الرامية الى التوصّل لتسوية سياسية، وتعطي اسرائيل، في النهاية، ذريعة رفع وتيرة التصلّب في موقفها من الانسحاب»، ثمّ اعاقة مجرى الدبلوماسية السوفياتية في المنطقة[٧٧].

وبصرف النظر عن الارباكات العملية التي رافقت هذا التباين في الموقف السوفياتي، فقد بدا واضحاً امتزاج دبلوماسية الكرملين بمدركات الحرب الباردة في المنطقة. ومن هنا كانت حاجة موسكو الى «تظاهرة قوة» في الشرق الاوسط، فكان في استطاعتها، في هذه الاثناء، وهي تراهن على تصلّب الموقف العربي تجاه «ازالة آثار العدوان»، ارسال عشر قاذفات قنابل من طراز «تي ـ يو ـ ١٦» بزيارة للقاهرة، في الرابع من كانون الاول (ديسمبر) ١٩٦٧[٧٨]، ان تحث الدول العربية على تجنّب مخاطر العودة الى العمليات العسكرية الشاملة، وعلى الاعتراف «بحق» اسرائيل في الوجود. ففي مقطع له دلالته، احتوى بيان، أُصدر اثر اجتماع دول الكتلة الشيوعية في وارسو، في ١٩ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٦٧، على مستوى وزراء الخارجيات، الدعوة «الى جميع دول الشرق الاوسط الاعضاء في الامم المتحدة للاعتراف بحق كل منها في الوجود، كدول مستقلة، في ظروف من السلام والامن». وانحى البيان باللائمة، في استمرار الازمة «المصطنعة» في الشرق الاوسط، على «أوساط امبريالية معروفة، على رأسها الولايات المتحدة الاميركية» التي تسعى «الى اعادة نظام استعماري في المنطقة»[٧٩].

ولا شك في ان الخبرة والحنكة في تجاوز أزمات التقاطع بين السياسات الاقليمية والدولية للكرملين قد تراكمت بما يكفي، في ذلك الوقت، لدعم مهمة المبعوث الخاص للامم المتحدة، غونار يارينغ،